

صيد الخاطر

59 - - فصل : كيف تقوى النفس .

مر بي حمالان جذع ثقيل و هما يتجاوبان بانشاد النغم و كلمات الإستراحة .
فأحدهما يصغى إلى ما يقوله الآخر ثم يعيده أو يجيبه بمثله و الآخر همته مثل ذلك .
فرأيت أنهما لو لم يفعلا هذا زادت المشقة عليهما و ثقل الأمر و كلما فعلا هذا هان الأمر .
فتأملت السبب في ذلك فإذا به تعليق فكر كل واحد منهما يقوله الآخر و طربه به و إحالة
فكره في الجواب بمثل ذلك فينقطع الطريق و ينسى ثقل المحمول .
فأخذت من هذا إشارة عجيبة و رأيت الإنسان قد حمل من التكليف أمورا صعبة و من أثقل ما
حمل مداراة نفسه و تكليفها الصبر عما تحب و على ما تكره فرأيت الصواب قطع طريق الصبر
بالتسلية و التلطف للنفس كما قال الشاعر :

(فإن تشكت فعللها المجرة من ... ضوء الصباح و عدها بالروح ضحى) .

و من هذا ما يحكى عن بشر الحافي C عليه سار و معه رجل في طريق فعطش صاحبه فقال له :
نشرب من هذا البئر ؟ فقال بشر : اصبر إلى البئر الأخرى فلما و صلا إليها قال له : البئر
الأخرى .

فما زال يعوّ ثم التفت إليه فقال له : [هكذا تنقطع الدنيا] .

و من فهم هذا الأصل علل النفس و تلتف بها و وعدّها الجميل لتصبر على ما قد حملت كما كان
بعض السلف يقول لنفسه : و ا ما أريد بمنعك من هذا الذي تحبين إلا الإشفاق عليك .
و قال أبو يزيد C عليه : ما زلت أسوق نفسي إلى ا تعالى و هي تبكي حتى سقتها و هي
تضحك .

و اعلم أن مداراة النفس و التلطف بها لازم و بذلك ينقطع الطريق فهذا رمز إلى الإشارة
وشرحه يطول